

يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر.. د. توفيق الواعي



الاثنين 6 مايو 2019 12:07 ص

هل يسمع ذلك النداء في رمضان أحد ممن يتولى أمر المسلمين فيقبل على الخير، وهل يعي هذا المتآمرون على أمتهم وعلى شعوبهم وأوطانهم فيقلعون عن أفعالهم وتوجهاتهم، وهل يفهم هذا الذين يأكلون أموال الناس بالباطل فيبتعدون عن السحت «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)» (الشعراء).

وهل سيقلع البعض عن المظالم وتلفيق التهم للأبرياء حتى لا تكون فتنة «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» (الأنفال: من الآية 25)، وهل ستطلق الحريات وتفك القيود، ويفرح الصغير بأبيه وينعم الأب والأم والزوجة بالمغيب في فعر مظلمة وجوف معتمة، وهل يقبل الأخ على أخيه، ويتصافح الجار مع جاره وينس القطيعة ويودع الحرمان، وهل يمنع سفك الدماء وقتل الأبرياء «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93)» (النساء).

وهل سيقلع أهل الشهوات ويقبلوا على الله بالتبوت والبعد عن المعاصي والسيئات في شهر الخير والغفران، نقول: أقبل أقبل يا رمضان وأقم طويلًا في هذه الأمة الطيبة المسكينة المقهورة، وألق عليها درسًا من دروسك البليغة، ولا تفارقها حتى تزكي أرواحها، وتطهر قلوبها وتصفي نفوسها وتصلح أخلاقها وتذهب إصرها وتجدد حياتها، وتقيم موازينها وتعلمها أن المطامع والمظالم أساس الاستعباد، وأن الشهوات أسر وقيود، والقهر استغلال وقعود، والحرية انطلاق وصعود.

ولو نما في المسلمين حب الخير وطبعت نفوسهم على الجِدِّ في طلب العلياء والتشوق إلى الآمال وبذل الجهد الصحيح في ذلك لرأيت أن المسلم لا يعجزه أن يكون في رمضان منفقًا لا سارقًا ومعطًا لا متلافًا ومصلحًا لا مفسدًا وعادلًا لا ظالمًا، ورأيت أصحاب الشهوات تتحول شهواتهم إلى بذل المال في إطعام الفقراء والمساكين، ورأيت هذا التائب المسلم لا يعجزه أن يقتصد قرشًا واحدًا أو نصف قرش مما ينفقه في الدخان أو في شراء أسطوانة غناء أو في سهرية من السهرات الحمراء أو الصفراء أو في وليمة لصحبة الهوى ليسد به رمق مسكين جائع أو فقير محتاج أو مدين مأزوم؛ لأن شهر رمضان شهر الرضاء والجود، يتذكر معه نعمة الله عليه وفضله إياه، وينهد إلى الثواب الجزيل في الشهر الفضيل، ويدخر أمواله لتنفق في سبيل أمته على طريق المجد والخير ليكون ذلك قوة لأتمته وضعفًا لعدوه الذي يتقوى بسرنا ويخترع بخاماتنا، ويغتني باستغلالنا وبما يبتز من ثرواتنا، ويرتع في خيرات أرضنا.

إننا إذا سرنا على الطريق المستقيم واتبعنا تعاليم رب العالمين وسيرة سيد المرسلين، وسرت فينا روح تعاليمنا الطيبة، وشعرنا بأن في أموالنا حقًا للسائل والمحرور، حتى يتقوى بها ويعمل بطاقته كلها عونًا لنا وسندًا لحضارتنا وحفاظًا على اليد العاملة عندنا.

إن في بلادنا اليوم كثيرين من المعوزين المهضومين يحاولون أن يتخلصوا من القيود والأغلال التي تثقل كاهلهم وتنهك قواهم، ولا خلاص لهم إلا بأموال الدولة وعطايا المحسنين من بني جلدتهم، «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)» (المعارج) والقوة العاملة، والنشاط المدخر في اليد المتعطلة إذا لم يستغل ويستغنى وتلبى حاجاتها تدهور اقتصاد الأمة، وهو أساس القوة الأدبية والاجتماعية وسند مشروعياتنا الوطنية التي تدر علينا الريح وتكسب الأمة المكانة وتعطيها العزة.

وبعد.. فهذا شهر رمضان ينبغي أن يقف فيه المسلم وقفاتٍ كريمةً يُنفق فيها صاحب المال على من لا مال له «هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

مَمْنُكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ ﴿38﴾ (محمد).

فهذا شهر رمضان شهر الإرادة القوية، وشهر مراجعة النفس وشهر الروحية والعبادة، وشهر القرآن العظيم ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: من الآية 185).

شهر المغفرة والتوبة والإنابة "يروى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشراب فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان".

ثم أليس الصوم طهارةً للنفوس ومدرسةً للأخلاق والسلوك الاجتماعي العظيم، "فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب، وإن سابه أحد فليقل إني صائم إني صائم، الذي نفسي بيده لخولف فم الصائم عند الله أفضل من ربح المسك".

وأليس القرآن نبأً فياضاً ينضح بالروحانية ويذكر النفوس بالملاءم الأعلى، ويجلوا أمامها أسرار ملكوت السماوات والأرض، إنَّ القرآن حين نزل على الأمة العربية عمل في نفوسها عمل السحر، وبلغ أثره أعماق القلوب وتغلغل في حنايا الضلوع وتمكَّن من مكامن الأرواح وبدل الله به الأمة خلقاً آخر، وكان اليون بعيداً والفارق عظيماً بين الأمة العربية في جاهليتها وإسلامها.

وها هو القرآن اليوم يُتلى علينا ويقرأ بين ظهرانينا فهل تغيرت به نفوسنا وانطبعت عليه أخلاقنا وفعل في قلوبنا كما كان يفعل في قلوب أسلافنا؟

وما هذا إلا لأننا نقرأ القرآن ولا نتجاوز به طوقنا قراءة آية، كلمات تتردد ونغمات تتعدد ثم لا شيء من فيض القرآن وروحانياته تفر في القلوب أو تفعل فعلها في الأقوال والأفعال والحياة الاجتماعية، إننا نريد أن نرجع إلى القرآن وننهل من روحانياته وتعاليمه، حتى تقوى الإرادة وتكشف عن أمثدتنا قتامة الغفلة فتتنزل علينا رحمة الله ونصره وتحل فينا بركات الصيام وأثره، فتجيب الدعوات، وتمحى السيئات، وتُعز الديار، ويفرح المؤمنون، وباغي الخير يقبل وباغي الشر يقصر وتقول الأمة من جديد: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: من الآية 81).

سبق نشره في (إخوان أون لاين) بتاريخ 26 سبتمبر 2006

